

المناسبة في القرآن الكريم



محمود حسن عمر





المناسبة في القرآن الكريم

محمود حسن عمر جودة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الأول والآخِر، الظاهر الباطن، القادر القاهر، شكرًا على تفضُّله وهدايته، وفزَعًا إلى توفيقه وكِفايته، ووسيلة إلى حِفظه ورعايته، ورغبةً في المزيد من كريم آلائه، وجميل بلائه، وحمدًا على نِعَمه التي عَظُمَ خطرُها عن الجزاء، وجلَّ عددُها عن الإحصاء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله أجمعين، وسلَّم تسليمًا.

موضوع البحث:

هذا بحث أتحدث فيه عن موضوع المناسبة في القرآن الكريم، مستعينًا في ذلك بكتب التراث والمؤلفات المعاصرة التي تناولت الموضوع، وذاكرًا جانبًا تطبيقيًّا؛ حتى تتَّضح أهمية المناسبة في الربط بين الآيات والسور، ولأن موضوعًا مثل المناسبة لا تتم فائدته إلا إذا تُنووِلَ بشكل تطبيقي.

المؤلفات التي تناولت علم المناسبة:

تنوَّعت المؤلفات التي تناولت علم المناسبة، فمنها ما جاءت المناسبة فيها بابًا من أبوابها؛ مثل:

1- البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي؛ فقد جاءت المناسبة بابًا من أبواب هذين الكتابين.

ومنها ما أُلِّف خِصيصًا لها؛ مثل:

1- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ للبقاعي.

2- والبرهان في تناسب سور القرآن؛ لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي.

3- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع؛ للسيوطي.

4- تناسق الدرر في تناسب السور؛ للسيوطي.

4- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور؛ للشيخ عادل بن محمد (أبو العلاء).

5- وعلم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول.

6- إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني.
7- أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، رسالة دكتوراه للدكتور محمد عامر محمد.
8- دلائل النظام؛ للشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي.
9- المناسبات بين الآيات والسور: فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها؛ للدكتور سامي عطا حسن، جامعة آل البيت.

وهناك دراسات ورسائل علمية في المناسبة جاءت من باب التطبيق على سورة من القرآن أو عدة سور، ومن أمثلة ذلك:

1- أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير للباحثة مقبولة علي مسلم الحصيني، بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، جامعة أم القرى بالسعودية، ٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
2- التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير للباحث طارق مصطفى محمد حميدة، بإشراف الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، جامعة القدس فلسطين، 1428هـ - 2007م.
3- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية المنيراوي، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين 1431هـ -2010م.
4- سورة الدخان: دراسة في علم المناسبة؛ للشيخ رفاعي سرور.
5- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورة الأعراف، رسالة ماجستير للباحثة إيمان عيد علي درويش، إشراف الدكتور وليد محمد حسن العمودي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، 1431هـ - 2010م.
6- المناسبة بين الفواصل القرآني وآياتها: دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء، رسالة ماجستير للباحث عبد الله سالم سلامة، بإشراف الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، ٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

خطة البحث:

جاء هذا البحث متمثلاً في مقدمة ذكرتُ فيها موضوع البحث، والمؤلفات التي تناولت علم المناسبة، وخطة البحث، وقد قسمتُ - من خلال هذه الخطة - البحث إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمناسبة في القرآن، وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة لغة واصطلاحًا:

المطلب الثاني: القائلون بالمناسبة.

المطلب الثالث: المعارضون للمناسبة والرد عليهم.

المطلب الرابع: أهمية علم المناسبات.

المطلب الخامس: أنواع المناسبة في القرآن.

المبحث الثاني: المناسبة بين الآيات في السورة: وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة:

المطلب الثاني: المناسبة بين ختام الآية وصدرها:

المطلب الثالث: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

المبحث الثالث: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها:

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية من سورة البقرة:

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية من سورة يوسف:

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من سورة الرعد:

المبحث الرابع: المناسبة بين مجموعة سور: وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

المطلب الثاني: مناسبة مضمون كل سورة بما قبلها:

وختمت البحث بخاتمة بيَّنتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ، ثم قائمة بالمراجع التي استعنتُ بها في

إتمام البحث، وفهرس بالموضوعات التي جاءت في البحث.

المبحث الأول: التعريف بالمناسبة في القرآن، وتحته خمسة مطالب

المطلب الأول: المناسبة لغة واصطلاحًا:

المناسبة لغةً:

يقول ابن فارس ت 395هـ: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيء، ومنه النَّسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به"[1].

يقول الراغب الأصفهاني ت 502هـ: "والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام؛ قال تعالى: {فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} [الفرقان: 54][2].

يقول الزركشي ت 794هـ: "واعْلَمْ أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يُناسب فلانًا؛ أي: يَقرُب منه، ويُشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل؛ كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنًى رابط بينهما، وهو القرابة"[3].

يقول الزبيدي ت 1205هـ: "ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسُب؛ أي: مشاكلة وتشاكُل، وكذا قولهم: لا نسبةَ بينهما، وبينهما نِسبة قريبة"[4].

يتَّضح مما سبق أن مادة (نسب) تجمع أكثر من معنى، فهي تأتي بمعنى الاتصال والتشابك، ومعنى الاشتراك في النَّسَب طولًا كالآباء والأبناء، أو عرضًا كالنَّسَب والقرابة بين الإخوة وبني الأعمام، ومعنى المشاكلة والمشابهة.

---

[1] مقاييس اللغة؛ لأحمد بن فارس، ج 5، ص 422.
[2] المفردات في غريب القرآن؛ للراغب الأصفهاني، ج 1، ص 801.
[3] البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي، ج 1، ص 35.
[4] تاج العروس؛ للزبيدي، ج 4، ص 265.

المناسبة اصطلاحًا:

يقول البقاعي ت 885هـ: "علم مناسبات القرآن: علم تُعرف منه عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة"[5].

يقول القاضي أبو بكر بن العربي ت 543هـ: "هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، مُتسقة المعاني، منتظمة المباني"[6].

يقول الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي ت 1349هـ - وقد أطلق على التناسب اسم النظام -: "ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وَحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخِر"[7].

ويقول الدكتور محمد بازمول: "هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[8].

يتَّضح من التعريفات السابقة لمصطلح المناسبة أو التناسب، أن هناك تقاربًا شديدًا بين علم المناسبة وعلم البلاغة؛ مما حدا بالبقاعي أن يجعله سرَّ البلاغة؛ إذ إن المناسبة كما هو معروف عند البلاغيين هي ترتيب المعاني المتآخية والمتشابهة والمتسقة، وعلم المناسبة - كما مرَّ - هو معرفة علل ترتيب الأجزاء، ومن هنا فإن علم المناسبة بالنسبة للمناسبة في البلاغة، كأصول الفقه بالنسبة للفقه، فهو حاضنُها، ومُعلل ترتيبها، ومُقنِّن لها، فالمناسبة البلاغية الترتيب والاتساق والتآخي، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

- دلالة المناسبة الاصطلاحية عند علماء البلاغة:

يقول الدكتور أحمد يحيى: "وأما دلالته الاصطلاحية، فإن الناظر في المصادر البلاغية لا يكاد يظفر بتعريف محدد يتفق عليه البلاغيون، فمنهم من أشار إليه شارحًا مفهومه اللغوي عن طريق الاستشهاد، ومنهم من أتى بالأمثلة دون أن يُحدد

---

[5] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج1، ص 6.
[6] البرهان في علوم القرآن، للزركشي ج1، ص 36.
[7] دلائل النظام؛ للشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي، ص 75.
[8] علم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول، ص 27.

دلالته الاصطلاحية، إلا إشارات مقتضبة تضمَّنت دلالته الاصطلاحية التي لم تَختلف عن دلالته اللغوية كثيرًا"[9].

ومصداق قول الدكتور أحمد يحيى ما جاء عند الجاحظ ت 255هـ؛ حيث قال: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال"[10].

فالجاحظ هنا يتحدث عن مناسبة الألفاظ مع الأغراض، فيطابق بين المناسبة والقاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقام مقالاً، ومطابقةِ الكلام لمقتضى الحال، وهذا بطبيعة الحال جزء من المناسبة، وهو مناسبة النص للواقع الذي يُلقى فيه.

وقد جاء تعريف النويري أكثر نضوجًا من تعريف غيره من البلاغيين والمشتغلين بالأدب، فقد أوضح تعريفه معالم مصطلح التناسب؛ يقول: "هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"[11].

وقد علَّق الدكتور أحمد يحيى على هذا التعريف قائلاً: "ومما يَلفت النظر في هذا التحديد وصفه المعاني بالمتآخية المتلائمة، وهي صفة توحي بخلوِّها مما يَعتريها من صفات تُخرجها عن طبقة البلاغة، ونراه أغفَل ذِكر الألفاظ، وهذا الإغفال متعمَّد ومقصود؛ إذ إن المعاني هي التي تتطلب الألفاظ، وكثيرًا ما نرى من أهل البلاغة مَن يشير إلى مصطلح المعاني ويريد به التركيب، على اعتبار أن بناء الكلام يحتاج إلى ركنين، هما المفردات والمعاني المراد توصيلُها"[12].

يقول الدكتور طارق مصطفى محمد: "وإذا انشغل أكثر البلاغيين والمفسرين؛ كالجرجاني، وصاحب الكشاف، وصاحب التحرير والتنوير، وغيرهم - بالنظم داخل الآية

---

[9] التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية؛ للدكتور أحمد يحيى محمد، ص 4.
[10] الحيوان؛ للجاحظ، ج3، ص 17.
[11] نهاية الأرب؛ للنويري، ج7، ص 107.
[12] التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية؛ للدكتور أحمد يحيى محمد، ص 6.

القرآنية المفردة غالبًا، أو بين الآيات المتجاورة، فإن علم التناسب ينظر إلى "النظام" الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومِن ثَم فإن من تمام بلاغة القرآن وبلاغه المبين أن يُتعامل معه باعتباره وَحدةً واحدة؛ ولذلك تؤكد بعض التعريفات السابقة أن السورة وحدة واحدة، بل إن آيات القرآن الكريم لترتبط حتى تكون كالكلمة الواحدة، وهو تعبير غاية في تأكيد الوحدة العضوية للقرآن، فكما أن الكلمة يتهدَّم بُنيانها من أي تغيير في حروفها أو زيادة أو حذف، فكذلك القرآن"[13].

المطلب الثاني: القائلون بالتناسب والآخذون به:

1- أبو جعفر الطبري ت 310هـ في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، فقد تحدث عن المناسبة في مواطن كثيرة من تفسيره، وانتصر لها، وإن لم يُصرح بلفظ التناسب، وأغلب كلامه في المناسبة بين الآيات فحسب، أو بين الآيات وواقع الدعوة، وربما دمَج تفسير آيتين؛ ليُبرز العلاقةَ بينهما، والكلامَ المقدرَ المحذوف الذي تُرِك لدلالة ما ظهَر من الكلام عليه وَفْق تعبيره[14].

2- القاضي عبد القاهر الجرجاني ت 471 هـ: صاحب نظرية النظم الذي هو بحسب تعبيره: "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[15]، وعنده أن المعاني تترتب في النفس أولاً وتَتبعها الألفاظ مُرتبة على حسب ترتيب المعاني.

يقول عبد القاهر أيضًا: "وأنك إذا فرَغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتَّب لك بحكم أنها خَدَمٌ للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[16].

[13] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى محمد، ص 14.
[14] ينظر: جامع البيان؛ للطبري، ج 3، ص 458، ودلالة السياق؛ للدكتور عبد الوهاب أبو صفية، ص 86.
[15] دلائل الإعجاز؛ لعبد القاهر، ص 4.
[16] السابق، ص 54.

ولعل هذا يوضِّح أن النظم هو الإعجاز الحقيقي للقرآن عند عبد القاهر.

يقول الدكتور طه جابر العلواني: "ومع أن الجرجاني لم ينص على مفهوم التناسب والوحدة البنائية في القرآن الكريم، فإن جهوده في بناء نظرية النظم قد أسَّست لها، وشقَّت الطريق إليها؛ من حيث إن الترتيب هو الأساس في النظم، كما أنه السر في التناسب، والجرجاني نظريًّا يُقرر أن ترتيب الآيات والسور والأعشار، هو على أكمل وجوه الاتساق والنظام والإتقان والالتئام والإحكام، لكنه في التقعيد والتطبيق ركَّز على الترتيب في الجملة والآية، ولم يتجاوز إلى وحدة السورة أو التناسب بين السور، أو الوحدة في القرآن كله"[17].

3- الزمخشري ت 538هـ: طبَّق الزمخشري في كشَّافه نظرية الجرجاني في النظم، وهو منذ البداية يؤكد في مقدمته: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا مُؤلفًا منظمًا، ونزله بحسب المصالح مُنجمًا، وجعله بالتحميد مُفتتحًا، وبالاستعاذة مُختتمًا"[18].

يقول الدكتور طارق مصطفى: "صرَّح الزمخشري بنظم الكلم القرآني، ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختتامه إلى كون القرآن وحدة واحدة، وألمح - وهو يُميز بين الإنزال والتنزيل - إلى أن الترتيب توقيفي، وهو ما أكده في تفسير سورة القدر؛ فالقرآن - بحسب ما يُفهم من كلام الزمخشري في المقدمة، حين أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا - كان مؤلفًا منظمًا، ثم تنزَّل مُفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم، لكن جمعه في المصاحف كان وَفقًا للترتيب الأول"[19].

والناظر في الكشاف يجد الزمخشري يؤكد وحدة النص القرآني وتماسُكه، فيصف نظم القرآن الرصين بالبناء المحكم المرصف، وذلك في تفسير الآية الأولى من سورة هود: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]، قال: "أُحكمت آياته: نُظِمت نظمًا رصينًا

[17] مقدمة كتاب: الوحدة البنائية للقرآن المجيد؛ للدكتور طه جابر العلواني، ص 3.

[18] الكشاف؛ للزمخشري، ج 1، ص 6.

[19] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى محمد، ص 18.

مُحكمًا، لا يقع فيه نَقْضٌ ولا خَللٌ؛ كالبناء المُحكم المُرصف"[20].

وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن الزمخشري أفضل مَن قرأ فكر عبد القاهر البلاغي.

4- القاضي أبو بكر بن العربي ت 543هـ: وهو من الذين انتصروا للمناسبة، وقد نقل عنه الزركشي في البرهان قوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة؛ متسقة المعاني، منتظمة المعاني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلمَّا لم نَجد له حَمَلةً، ورأينا الخلق فيه بأوصاف البَطَلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورَددناه إليه"[21].

5 - أبو جعفر بن الزبير ت 708هـ في كتابَيه:" البرهان في تناسب سور القرآن"، و"مِلاك التأويل"، وقد كان هذا الرجل من أشد المنتصرين للمناسبة ووجودها في القرآن، وقد حدَّد الدكتور طارق مصطفى موضوعات كتابيه، فقال: "فأما البرهان فقد خصَّصه لموضوعات السور والارتباط فيما بينها، وقد نقل البقاعي أغلبه في تفسيره مُصرِّحًا بنسبة كلامه إليه، كما نقل عنه غير واحد من تلاميذه؛ كصاحب البحر المحيط - أبي حيان - وصاحب التسهيل - ابن مالك - والأول تابَع أستاذَه واقتفى أثره في الاهتمام والالتفات إلى موضوع التناسب، وأما (ملاك التأويل)، فإنه قد خصَّصه لتفسير الآيات المتشابهات؛ حيث كان كثيرًا ما يذكر أن السبب هو الارتباط بالآية السابقة والسياق، كما يلفت إلى المناسبة مع موضوع السورة، وما يتكرَّر فيها من الألفاظ والصِّيَغ والمعاني التي تُميز كل سورة عما سواها"[22].

6- بدر الدين الزركشي ت 794هـ: وقد تحدث في كتابه البرهان في علوم القرآن عن التناسب باعتباره واحدًا من علوم القرآن، فعرَّفه وذكَر روَّاده، وأبرز المشتغلين به إلى زمانه، وردودهم على المعترضين، ثم أفاض في الحديث عن وجوه التناسب.

---

[20] الكشاف؛ للزمخشري، ج4، ص 771.
[21] البرهان؛ للزركشي، ج1، ص 62.
[22] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى محمد، ص 20.

7- برهان الدين البقاعي ت 885هـ: وله التفسير المسمى: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وله أيضًا: (مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور)؛ حيث كان دأب البقاعي في نظم الدرر أن يُورد في بداية كل سورة مقصودها من خلال اسمها الدال على هذا المقصود حسب رأيه، ولا يكتفي بذلك، وإنما يتحدث عن كل أوجه التناسب؛ داخل الآية، وبين الآيتين، وفيما بين مقاطع السورة، والتناسب بين ختام السورة وبدايتها فيما يُسميه: "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للسورة، ثم بين السورة وجارتها، بل ويتحدث عن "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للقرآن؛ أي: المناسبة بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في أوله، باعتبار القرآن جميعِه وَحدةً واحدة[23].

يقول الدكتور طارق مصطفى: "ولعل جهد البقاعي في نظم الدرر هو الأجمع والأشمل والأكثر تفصيلًا، والأفضل من كل سابقيه وأغلب الذين جاؤوا من بعده؛ فإنه قد جعل المناسبة من جميع جوانبها غايته من الكتاب الذي حوى كنوزًا من هذا الفن، ولا عبرة بما يقال أحيانًا عن تكلُّفه فيه، فبعضه من كلام الأقران، أو الذين لا يقدرون هذا العلم حق قدره، ثم هل يتوقع من البقاعي وقد أخذ على عاتقه استقصاء وجوه التناسب في القرآن كله - أن يهتدي إلى الأصوب في كل موضع؟ وبحسب البقاعي أنه قد التفت إلى بعض أوجه التناسب التي لم يُسبق إليها؛ كدلالة اسم السورة على مقصودها، أو رد المقطع على المطلع فيما يتعلق بالتناسب بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في آخره، وهذه الثانية لم يتابعه فيها أحد من المتأخرين، بحسب علم الباحث"[24].

8- السيوطي ت 911هـ: انتصر السيوطي لوجود المناسبة في القرآن، وقد ألَّف كتبًا كثيرة جاءت المناسبة جزءًا منها؛ مثل: (الإتقان)، و(معترك الأقران)، وقد نقل فيهما أغلب كلام الزركشي في (البرهان)، وألَّف أيضًا كُتبًا قصَرها على المناسبة؛ مثل: (تناسق الدرر في تناسب السور)، وقد ذكر

[23] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 57 وما بعدها.
[24] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى، ص 21 وما بعدها.



السيوطي في مقدمته أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب له كبير في موضوع التناسب، واسمه (أسرار التنزيل)، وله: (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

المطلب الثالث: المعارضون والرد على اعتراضاتهم:

أولاً: المعترضون على المناسبة:

كان أبرز مَن نُقِل عنهم الاعتراض على المناسبة: الشيخ عز الدين بن عبد السلام ت 660هـ، والإمام الشوكاني ت 1250هـ، فأما العز بن عبد السلام فقد قال: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبَّث بعضه ببعض؛ لئلا يكون مقطعًا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يَشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لِما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يُصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مُؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتَّى ربط بعضه ببعض؛ إذ ليس يَحسُن أن يرتبط تصرُّف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب"[25].

وراح يضرب لذلك أمثلة بتصرُّف الملوك والحكام والمفتين، وتصرُّف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وأنه ليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها[26].

يقول الدكتور مشهور موسى: "وأما الشوكاني فقد انتصب للرد على الأخذ بفن التناسب في القرآن، وأنحى باللوم والتقريع على أئمة التفسير، وأطال في الاستدلال برأيه، وأبدأ في ذلك وأعاد"[27].

[25] الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وبذيله: نبذ من مقاصد القرآن الكريم؛ للعز بن عبد السلام، ص 338-339.
[26] السابق، ص 339.
[27] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 53.

يقول الشوكاني: "اعْلَمْ أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلُّفات وتعسُّفات يتبرَّأ منها الإنصاف، ويَتنزَّه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره، ومَن تَقدَّمه حسبما ذكر في خطبته"[28].
يقول الدكتور أحمد محمد الشرقاوي سالم: "ونحن نُوافق الشوكاني في أن التكلُّف منهي عنه في التفسير أو في غيره، وأنه لا يجوز التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، فعلم المناسبات يحتاج إلى تدبُّر وتفكُّر لا إلى تكلُّف وتعسُّف، وهو علم لا بد منه ولا غنى عنه لأي مفسر؛ لأنه يُعين على فَهْم المعنى والترجيح بين الآراء، ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور، وغير ذلك من فوائد، والمناسبة قد تكون واضحة جلية، وقد تحتاج إلى تأمُّل دقيقٍ وتدبُّر عميقٍ، فإذا خَفِيت المناسبة، فلا ينبغي إنكارُها ونفيُها"[29].

ثانيًا: الرد على المعترضين:
وفي الإجابة عن كلام العالمين الجليلين، ربما تَحسُن الإشارة إلى الأمور الآتية:
1- أنهما يتفقان في مجمل الاعتراضات، بل يمكن القول: إن كلام الشوكاني رحمه الله هو بسط وتطويل لكلام العز بن عبد السلام، لكن في سياق خطابي، ولذلك لن أفرد كل واحد منهما بجواب خاص.
2 - أن العز - رحمه الله - لا يرفض التناسب مطلقًا، بل يَشترط فيه أن يقع في أمر مرتبط أوله بآخره، دون ما يقع

---

[28] فتح القدير؛ للشوكاني، ج1، ص 86.
[29] موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر 1425هـ؛ للدكتور أحمد محمد الشرقاوي سالم، ص 4.

على أسباب مختلفة، على حد تعبيره، وهذا سببٌ لوجازة كلامه وخِفة حِدَّته كما يبدو[30].

وقد ذكر الدكتور مشهور موسى أنه بالإفادة مما كتبه الباحثون قديمًا وحديثًا، فإن رأي العز مردوم أولاً بنقل الزركشي، وقد قال الزركشي عقب إيراده رأي العز مباشرة: "قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآي مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلاً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وَفق ما في الكتاب المكنون مُرتبة سوَرُه كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو اسْتُفْتِي في أحكام متعددة، أو ناظَر فيها، أو أملاها - لذكر آية كل حكم على ما سُئِل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتلُ كما أفتى، ولا كما نزل مُفرقًا، بل كما أُنزل جُملة إلى بيت العزة"[31].

يقول الدكتور مشهور موسى: "وعلى فرض أن الإمام العز بن عبد السلام قد رام هذا، فإن القرآن كلام الله الأزلي المتصف بالكمال والمنزه عن النقص، ونزول آياته منجمة لأسباب خاصة في أزمنة متباعدة، لا يمنع التناسب بينها، فهي متناسبة في اللوح المحفوظ قبل نزولها، ولتقريب الصورة - مع فارق التشبيه - نتخيل معًا أن هناك بناءً تامًّا، وفي وقت ما تفرَّق هذا البناء، وأخذ منه كل حسب حاجته، ثم جيء بعد ذلك، وجُمِع ورُتِّب على ما كان من قبلُ، وهو ما كان بالفعل من حال آيات الله وسوره، ولله المثل الأعلى"[32].

وأما ملخص ما جاء في الرد على الإمام الشوكاني: أنا ما زلنا نرى دارسي الأدب يُعنون بإبراز التناسب بين أبيات القصيدة وارتباط أغراضها ببعضها، وحسن انتقال الشاعر أو الكاتب من غرضٍ إلى آخر، بما يَصون كلامه عن التفكك وعدم الانسجام - مع فارق التشبيه بين النصين؛ فالنص الأدبي يعكس لنا تصورًا كليًّا لقضية ما، وأما النص القرآني فإن السورة الواحدة فيها حياة مليئة بكل حركة تفصيلية لشؤون الحياة جميعها - فكيف لا يَرِد هذا في أفصح كلام وأبلغ نظام،

[30] ينظر التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى، ص 28.
[31] البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي، ج1، ص 37.
[32] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 54.

إضافة إلى ما يفيده هذا التناسب من ترجيح لبعض الأقوال على بعض، وما يفيد أيضًا من تَقْوِية المعنى والحث عليه[33].
ومما سبق يتضح أن الإمام الشوكاني والإمام العز بن عبد السلام قد جانَبهما الصواب في مسألة اعتراضهما على القول بالمناسبة في القرآن، وأن جميع الشبهات التي استندا إليها لا تقوى على غمز علم المناسبة أو الحط من شأنه، ما دامت هناك ضوابط موجود متمثلة في حُسن الربط والبعد عن التكلّف والتعسُّف، وهذ بالطبع ما يوجد في القرآن - أي حُسن الربط والبُعد عن التكلف والتعسف - وعلى ذلك فالمناسبة تُعد من أدق العلوم والوسائل التي تساعد على التعمق في فَهْم القرآن، واكتشاف دقائق ترابُطه وسَبكه.
لكن الدكتور محمد عناية الله سبحاني كان له رأي آخر في معارضة الشوكاني للمناسبة؛ إذ إنه يرى أن الشوكاني لم يكن يعارض المناسبة، ولم يُنكرها، فيقول: "إن الإمام الشوكاني له فضله ومكانته، بحيث لا يُقطع دونه الأمرُ، وإن عبارته هذه لا تكفي للقطع بأنه من المعارضين لتلك الفكرة، كيف وهو يَنهج في تفسيره نهجًا يشدُّ أزرَ القائلين بها، ولا يجد فرصة لإبراز النظام - المناسبة - إلا ويَنتهزها، ويقف عندها وقفة لا بأسَ بها؟!"[34].
ثم راح يأتي بأمثلة من تفسير الشوكاني يُدلل بها على أن الشوكاني لم يكن يعارض القول بالمناسبة في القرآن، ومن هذه الأمثلة التي جاء بها: قول الشوكاني عند تفسيره قولَه تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33]: "لَمَّا فرَغ سبحانه من بيان أن الدين المرضي هو الإسلام، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحبَّ الله إلا باتباعه، وأن اختلاف أهل الكتابين فيه، إنما هو لمجرد البغي عليه والحسد له - شرع في تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيَّن أنه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة"[35].

---

[33] السابق، ص 54 بتصرف يسير.
[34] إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني، ص 36.
[35] فتح القدير؛ للشوكاني، ج1، ص 333.

المطلب الرابع: أهمية علم المناسبات:

تعرَّض كثير ممن تناوَلوا موضوع المناسبة لذكر أهميتها، ومنهم الإمام البقاعي، وأبو جعفر بن الزبير، وقد تشابهت أقوالهم في الحديث عن أهمية علم المناسبات، وكان بينها قواسم مشتركة ومن ملامح أهمية علم المناسبة:

1- فَهْم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها؛ يقول الدكتور صلاح الخالدي: "استند كثير من القدامى والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: 28] في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم؛ حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين! فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل على ضَعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته"[36].

2- أن المناسبة في أحايين كثيرة تكون مفتاح معرفة حِكَم القرآن ودُرره:

والدليل على ذلك قول الإمام الرازي: "إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط"[37]، وقد أكد البقاعي أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر[38].

وقال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "ولَمَّا كان أكثر الحِكَم ومعالي الأمور مَخبوءة تحت دلالات النظم، فمَن ترك النظر فيه ترَك من معنى القرآن مُعظمَه"[39].

يقول الدكتور طارق مصطفى محمد: "ويجد القارئ أن المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيرًا ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء

---

[36] القصص القرآني؛ للدكتور صلاح الخالدي، ج2، ص 127، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.
[37] التفسير الكبير؛ للرازي، ج 4، ص 110.
[38] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 1، ص 8.
[39] دلائل النظام؛ للشيخ عبد الحميد الفراهي، ص 38.

الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسْمَوْه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حُسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائدًا على القول السابق في تفسير كل منهما على حِدَة، ومثله في ترتيب المواضيع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة {آمَنَ الرَّسُولُ ...} [البقرة:285]، أو الحكمة في ترتيب وجوه البر في قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ...} [البقرة:177]، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره"[40].

3- التناسب عامل فعَّال في إظهار الإعجاز القرآني وأحد ركائزه:

التناسب كما مرَّ وجه أصيل من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، وأنه معجز كله؛ يقول البقاعي في: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[41].

وقد قال الشيخ أبو بكر النيسابوري: "إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتماسُكًا"[42].

4- **المناسبة تكشف أهمية الأمور وقدرها:**

وقد مثَّل الدكتور طارق مصطفى لذلك بقوله: "ومثال ذلك: معرفة سر اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين؛ إذ جاء تاليًا للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن"[43].

---

[40] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى محمد، ص 57.
[41] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 1، ص 7.
[42] الفصل والوصل؛ للدكتور بسيوني عرفة، ص 39، مكتبة الرسالة، القاهرة.
[43] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى، ص 58.



وينقل الدكتور محمد عناية الله سبحاني عن الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي قوله: "وقد عظُم بيان الجمعة عندي حين علِمت كيف مهَّد الله قبلها من ذِكر تسبيح ما في السموات والأرض، وصفاته الحسنى، وفضله على الأمة، وخُسران اليهود على استخفافهم بحُكم الله، فقد رغَّب، ثم رغَّب، ثم رهَّب، ثم ذكَر أحكام الجمعة"[44].

6- ومن أهمية علم المناسبات دفْع ما يُتوهَّم أنه تَكرار في القرآن:

تحدث كثير من المفسرين والبلاغيين عن التكرار، وذكروا أن القرآن خالٍ من التكرار، وأن ما به مما يُوهِم وجود التكرار، فإنما هو تشابه، وقد تحدث البقاعي عن التناسب وأهميته في دفع توهُّم التكرار بقوله: وبه يتبيَّن لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أُعيدت فيها قصة، فلمعنى ادُّعِي في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سِيقت له[45].

يقول الشيخ سيد قطب: "ويحسب الناس أن هناك تَكرارًا في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة - من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق - وأنه حيثما تكررت حلقة، كان هناك جديد تُؤديه ينفي حقيقة التكرار"[46].

7- يساعد علم المناسبة في ملاحظة اقتباس النبي وصحابته من القرآن ونظمه:

توجد أحاديث كثيرة وُجِد فيها تناص ومناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم، يقول الدكتور محمد عناية الله سبحاني: "فإذا تأمَّل الباحث نظامَ الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلى ما يجد له تأييدًا في كلام النبوة وآثارها - ازداد بذلك ثقة وارتياحًا إلى ما فتح الله عليه من خزائن حكمته، كما ازداد

---

[44] إمعان النظر في نظام الآي والسور، ص 19.
[45] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج1، ص 8، بتصرف يسير.
[46] في ظلال القرآن؛ للشيخ سيد قطب، ج1، ص 64.

انشراحًا واقتناعًا بصحة ذلك الحديث الذي وجـد لـه أصـلاً في تنزيله"[47].

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قال: ((يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم البـاءةَ فليـتزوَّج؛ فإنـه أغضُّ للبصـر، وأحصـنُ للفـرج، فمَن لم يسـتطع فعليـه بالصوم، فإنه له وِجاءٌ))[48].

فهـذا الحـديث مسـتفاد أو مُسـترفد من قولـه تعـالى: {قُـلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُـرُوجَهُمْ ذَلِـكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْـنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور: 30، 31].

ففي الآيتين أمـرٌ للمؤمـنين والمؤمنـات بحفـظ الفـرج وغَضِّ البصر؛ خشـية الوقـوع في الزنـا، وفي الحـديث أمـر بـالزواج للمستطيع، وأمر بالصوم لمن لا يسـتطيع خشـية الوقـوع في الزنا، فحدثت بذلك مناسبة وتناصٌّ بين الآية والحـديث، فالآيـة مثَّلت رافدًا للحديث، ومَعين أخذ منه النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم.

المطلب الخامس: أنواع المناسبة في القرآن:

تعدَّدت أنواع المناسبة في القرآن الكريم وتشاكَلت، فمنها:

1- المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة.
2- المناسبة بين الآية وما قبلها عمومًا.
3- المناسبة بين الآية وما بعدها من نفس الموضوع.
4- المناسبة بين الآية وأول السورة.
5- المناسبة بين جزء الآية وصدرها.
6- المناسبة بين ختام الآية وصدرها.
7- المناسبة بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة.
8- المناسبة بين ختام الآية والآية التي قبلها مباشرة.
9- المناسبة بين صدر الآية وما قبلها من الآيات عمومًا.
10- المناسبة بين أوائل السور وأواخر ما قبلها.
11- المناسبة بين آخر السورة وأولها.
12- المناسبة بين مجموعة سور.

[47] إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني، ص 258.
[48] البخاري كتاب الصوم، حديث رقم (1905).



13- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها.
14- المناسبة بين اسم السورة ومضمونها.

المبحث الثاني: المناسبة بين الآيات في السورة

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة:

وقد ظهر هذا النوع من المناسبة جليًّا عند الإمام البقاعي، فقد كان يعرض للآيات القرآنية واحدة واحدة، وكان يُظهر - مجتهدًا - وجه الارتباط بين الآية وأختها بنوع من الروابط البلاغية المعروفة، ومن ذلك ما تكون فيه المناسبة على أساس من الالتفات الذي يفيد التنكيت والتبكيت، فالالتفات من الأساليب البلاغية الرفيعة التي تُظهر المناسبة أيَّما ظهور، ومن فوائد هذا الأسلوب وخصوصيته التأثيرية على النفس أن يربط آية بآية أخرى قبلها على سبيل التنكيت والتبكيت، ومن هذا اللون ما يكون على سبيل الاستئناف التبكيتي الممزوج برائحة الالتفات؛ كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: 159]، وذلك بعد قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158][49].

فآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ} ناسَبت ما قبلها، وهي آية: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ}؛ ذكر البقاعي أنه لَمَّا تقدَّم كِتمان بعض أهل الكتاب للحق، وخَتْمُ ما أتبع ذلك - أي: الصفا والمروة - بصفتي الشكر والعلم، فالشكر لمن نصَح لله واتَّبع شرعه، فالله يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور، حتى وإن دقَّت الأفعال واستترتْ، وبالَغ القوم في كِتمانها وإخفائها، وبعد ذلك - أي: اتِّباع شرعه كاملاً، وشُكر من يقوم بذلك - انعطف الكلام لتبكيت المنافقين، وكذلك المصارحين، ولعَنْهم على كِتمانهم ما يعلمون من الحق[50].

---

[49] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 77.

[50] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج2، ص 272 - 273 بتصرف يسير.

ومما سبق يتَّضح للناظر المتفحص كيف لَعِبَ أسلوب الالتفات التبكيتي دورًا كبيرًا في إظهار المناسبة بين الآية والآية التي قبلها.

وقد يأتي العطف الذي يفيد التشريف والتكريم وسيلةً من وسائل المناسبة بين الآية وما قبلها، ومثال ذلك قوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 19]، فقد جاء قبلها قوله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: 18]. ذكر الإمام البقاعي أن الله عز وجل لَمَّا أوجب للشيطان من الشقاوة لتمادِيه في حسد آدم وذُريته، وما كان من أمره بعد ذلك، وكثرة كلامه في محسوده - التفت الله عز وجل إلى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل إنه انشغل بنفسه واكتفى بجزائه، ورضِي بقضاء الله، فقال الله عز وجل - وقد عطف عطفًا تناسبيًّا معجزًا على الآية التي قبلها: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا....} - قال: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ...}، فكان هذا الالتفات الرباني فيه من التشريف والإيناس لآدم وزوجه ما فيه[51].

فالناظر يجد نفسه أمام لوحتين معجزتين؛ الأولى: خاصة بإبليس اللعين، فالله عز وجل يذمه ويَطرده من رحمته وجنته، جزاء حسده الدائم لآدم، وفي المقابل في اللوحة الثانية التي تختص بآدم وزوجه، وهما قد رَضِيَا بحكم الله وصبَرَا، فوعدهما الله الجنةَ وسُكناها، والمناسبة هنا تتَّضح من العلاقة التي جمعت إبليس وآدمَ، فكلٌّ منهما كان في الجنة، فعصى إبليس وحسَد، ورَضِي آدم وانشغَل بنفسه، فاختلف الجزاء بين اللعن والطرد، وسُكنى الجنة، وأظهر هذا التناسبَ العطفُ والالتفات من قصة إبليس إلى قصة آدم.

المطلب الثاني: المناسبة بين ختام الآية وصدرها:

النموذج الأول:

تعرَّض الإمام البقاعي لهذا النوع من المناسبة، ومثَّل لها بقوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ

[51] السابق نفسه، ج7، ص 371، بتصرف يسير.

الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158].

يقول الإمام البقاعي: "لَمَّا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يَقصدوا بترك الطواف بينهما إلا الطاعة، فأعلِموا أن الطواف بينهما طاعة، ولذلك عبَّر بما يفيد مدحَهم، فقال تعالى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ}.

يقول الدكتور مشهور موسى في تعليقه على المناسبة في هذه الآية: "إن التناسب في هذا المقام هو على أساس المدح، والفصل كذلك في أمر دار خلاف طويل حوله، يشير إلى ذلك حديث عروة مع أم المؤمنين عائشة، حين قال لها: ما أرى على أحد شيئًا ألا يَطوَّف بهما، فقالت لو كان كما تقول، كان فلا جُناح عليه ألا يَطوَّف بهما"[52].

النموذج الثاني:

ومثال آخر لهذا النوع من المناسبة تتحقق فيه هذه المناسبة على أساس تشوُّف سؤال، وهو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران: 91].

ذكر الإمام البقاعي أن السامع لَمَّا تشوَّف إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على كفرهم، وما يحل بهم، أجيب بقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}، وبهذا يكون ختامها قد ارتبط برابط مع حُسن أولها[53].

فالله عز وجل بدأ الآية بإخبار، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ}، وهذا الإخبار مُشوِّق يتشوَّف السامع من خلاله لأن يسأل سؤالاً مفاده: ما مصيرهم يا رب؟! فيأتي الجواب أنهم لن يُقبل منهم مِلء الأرض ذهبًا لو أتَوْا به لفداء نفوسهم من العذاب الواقع بهم، وطالَما أن الفداء قد رُفِض رفضًا قاطعًا - عن طريق لن والفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، فقوله: {فَلَنْ يُقْبَلَ} مُفاده تأبيد النفي واستمراره وتجدُّده - فإن مصيرهم المحتوم هو العذاب الأليم.

---

[52] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 95.

[53] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 4، ص 478 وما بعدها، بتصرف يسير.

المطلب الثالث: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

من الراسخ في الذهن أن فواتح السور القرآنية تَحمل براعة استهلال معجزة، فهي أول شيء يقع على السمع، ومِن ثَمَّ فخاتمة السور كذلك لا تقل عنها إعجازًا؛ إذ هي آخر ما يسمعه السامع من السورة، وقد ذكر السيوطي أن الخواتم تأتي متضمنة المعاني البديعية مع إيذان السامع بانتهاء الكلام؛ حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّف إلى نقصٍ يُريد تمامًا[54].

النموذج الأول:

ومن أمثلة هذا المناسبة قوله تعالي في ختام سورة الأنعام: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 164، 165].

ذكر الإمام البقاعي أن ختام سورة الأنعام جاء في غاية التناسب مع أولها، فالاستفهام في الآية الخاتمة للسورة تعجبِّي استنكاري، يستنكر ممن يتخذ ربًّا غير الله، مع كونه قد خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وهذان صنيعان يستوجبان الشكر الدائم لا العصيان، فقال في مطلع السورة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: 1].

يقول البقاعي: "يُسرع العالي إلى عقوبة السافل! فأُجيب بأن الله فوق الكل، وهو أسرع عقوبة، فهو قادر على أن يُسلِّط الوضيع أو أحقر منه على الرفيع، فيُهلكه، ثم رغَّب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل، أسبل ذيلَ غفرانه ورحمته بإمهاله العُصاة، وقَبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور منافعَ لهم، ثم هم به يَعدلون! ولولا غفرانه ورحمته، لأسرع عقابه لمن عدل به غيره، فأسقط عليهم السموات وخسَف بهم

---

[54] الإتقان؛ للسيوطي، ج 2، ص 292 وما بعدها.



الأرض الـتي أنعم عليهم بالخلافـة فيهـا، وأذهب عنهم النـور، وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما بـه ابتـدأها، فـإن قولـه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام: 165] هو المـراد بقولـه: {هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ} [الأنعـام: 2]، وقولـه: {أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعـام: 164]، هـو معنى قوله: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَـاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: 1]"[55].

[55] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 7، ص 346.

النموذج الثاني:
ومثال آخر لهذا النوع من المناسبة، وهو قوله تعالى في ختام سورة الروم: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60].
فالله سبحانه وتعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، ويذكر أن وعد الله حق، وهو واقع لا مَحالة، ويُحذره من فتنة هؤلاء المنافقين والكافرين، وذلك بحمْلهم النبيَّ على الخفة والقلق جزعًا مما يقولون، فهؤلاء قوم ليس لديهم يقين، منافقون، فهم شاكُّون بطبعهم؛ يُزلزلهم أيُّ شيء، ويُكذبون نصر الله لأوليائه المؤمنين، ودليل ذلك تكذيبهم وعد الله للمؤمنين بنصر الروم وهزيمة الفرس، فتَراهم كأنهم على بيِّنة وثقة من أمرهم - وهو أن نصر الروم لن يحدث - وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى طمْس الله على قلوبهم وإغلاقها عن الحق، وبهذا يكون قد عطف آخر الآية على أولها: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} [الروم: 1 - 4].
فالله بعد أن ذكر هزيمة الروم وعد المؤمنين بنصرهم على الفرس في بضع سنين، وأن الأمر كله بيد الله عز وجل، وفي آخر السورة أمر الله نبيَّه بالصبر وأكَّد وعده بالنصر - {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} - فالأمر بالصبر يكون على نبأ هزيمة الروم، واستهزاء الكفار والمنافقين بتأخُّر النصر، وذلك جاء آخر السورة، وتأكيد الوعد بنصر الروم، وهزيمة الفرس، يكون متصلاً بإخبار الله النبيَّ بنصر الروم وهزيمة الفرس في أول السورة: {وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [الروم: 3].
وكما قال البقاعي: "عطف الحبيب على الحبيب، واتصل به اتصال القريب بالقريب، والْتَحَم التحام النسيب بالنسيب"[56].

[56] السابق نفسه، ج 15، ص 139.



المبحث الثالث: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها

مدخل:

والفاصلة في اصطلاح أرباب الدراسات القرآنية يشيع إطلاقها على آخر كلمة تختم بها الآية - مع فارق التنظير - كقافية الشعر وقرينة السجع[57].

على أنَّ الإجماع منعقد على عدم تسمية الفاصلة قافية كما حكاه السيوطي؛ إذ قال: "ولا يجوز تسميتها قوافيَ إجماعًا؛ لأنَّ الله تعالى لَمَّا سلَب عنه اسمَ الشعر، وجَبَ سَلْبُ القافية عنه أيضًا؛ لأنَّها منه وخاصة في الاصطلاح، وكما يَمتنع استعمال القافية يَمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله، فلا تتعدَّاه"[58].

وأما تسميةُ الفواصل القرآنية أسجاعًا، وإطلاق لفظ السجع عليها، فإن جمهور العلماء قد منعه، وهو المتعين؛ وذلك لأنَّ أصل إطلاق السجع في اللغة كان على صوت الحَمام إذا سجع؛ أي: هدل على جهة واحدة[59].

وقد تَنزَّه القرآن الكريم عن أن يُستعار لشيء منهُ لفظٌ هو صوت الطائر، ثم إن من السجع ما يطلق على مذموم الكلام كسجع الكُهَّان، وأصل المنع في ذلك راجع إلى أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكلامه صفة من صفاته، فلا يجوز وصفه بصفة لم يَرِد الإذن الشرعي بها؛ لأن ألفاظ أسماء الله تعالى وصفاته وما يتعلق بها توقيفية، وليس للاجتهاد البشري فيها مَكنة ولا مجال[60].

ومصطلح الفاصلة مُغرق في القِدم، فقد عرفه أعلام العربية؛ كالخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ، فأطلقه هو وتلميذه سيبويه ت 180هـ على مقاطع القرآن، ثم استقرت دلالته على أواخر الآيات في طبقة الجاحظ ت 255هـ إلى أن

---

[57] ينظر: النكت في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 89، وإعجاز القرآن للباقلاني، ص 83، والبرهان؛ للزركشي، ج 1، ص 149.
[58] معترك الأقران؛ للسيوطي، ج 1، ص 25.
[59] ينظر: لسان العرب مادة (سجع) .
[60] ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ للباقلاني، ص 90.

استوى هذا المصطلح على يد أبي الحسن الأشعري ت 324هـ، وتلميذه أبي بكر الباقلاني ت 403هـ[61].
وأصبح الناظر في إعجاز القرآن الكريم والواقف على مظاهر بلاغته، يتناول هذا المصطلح ويُبرز لطائفَ البلاغة فيه، وذلك في أغلب البحوث التي تطرَّقت إلى بيان القرآن الكريم[62].

المطلب الأول: نماذج تطبيقية من سورة البقرة:

- النموذج الأول:

قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

يقول د وهبة الزحيلي: "هذا الكتاب لا رَيْبَ فيه: لا شك في أنه من عند الله هداية ورشادًا للمتقين الذين وَقَوْا أنفسهم مما يضرها، فالتزموا الأوامر الإلهية، وتجنَّبوا النواهي والمحظورات"[63].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

خصَّص الله عز وجل كتابه وأخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فالخبر يُخصص المبتدأ ويكون وصفًا له؛ مما يؤكد أن هذا الكتاب هدى للمتقين فحسب، وليس هدى لغيرهم، وقوله: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}، فهدى خبر للمبتدأ ذلك، وللمتقين جار ومجرور متعلق بمحذوف مرفوع نعت لهدى، والتقدير: هدى مستقر أو ثابت أو حاصل للمتقين.

ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

جاءت هذه الفاصلة مناسبة لدلالة التخصيص التي في الآية، فالفاصلة جاءت في كلمة المتقين - وهي لفظة مخصوصة تدل على نوع معين من الناس - فناسَب تخصيصُ الفاصلة تخصيصَ الهدى بالمتقين فحسب.

- النموذج الثاني:

---

[61] الفاصلة في القرآن الكريم؛ للدكتور محمد الحسناوي: 33 - 87 .
[62] ومن هذه البحوث: إعجاز القرآن؛ للرافعي، والتصوير الفني؛ لسيد قطب.
[63] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج؛ للدكتور وهبة الزحيلي، ج1، ص 72.



قال تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: 3].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن أولئك المتقين هم الذين يُصدقون بجميع ما أُنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ويُصدقون أيضًا تصديقًا جازمًا لا شك فيه بالآخرة، وما تضمُّه من بَعْثِ الأجساد والأرواح معًا من القبور، وحساب وجزاء، وميزان وصراط، وجنة ونار، وهؤلاء الموصوفون بما ذكر من الإيمان الحق بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بالقرآن وبالكتب المنزلة قبله - (وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف) - هم على نور وهداية من ربهم، وعلى منزلة عالية عند الله، وهم الفائزون بالدرجات العالية في جنات الخلود"[64].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}: (ومما) الواو حرف عطف، ومما جار ومجرور متعلقان بـ(ينفقون)، و(رزقناهم): فعل ماض، و(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل، و(هم) ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وجملة (رزقناهم): لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، والعائد محذوف؛ أي: رزقناهم إياه، (ينفقون) فعل مضارع مرفوع معطوف على (يُقيمون) داخل في حيِّز الصلة، وفي استخدام الفعل المضارع (ينفقون) دليل على تجدُّد واستمرار الإنفاق.

ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

جاء جمال الفاصلة هنا في التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم الإنفاق على غيره من صفاتهم؛ لأنه وصف إيجابي يدل على صفاء نفوسهم، وقوة إخلاصهم، فإن المال شقيق الروح، فإذا أنفقوه في حالتي السراء والضراء، كان ذلك دليلاً على التزامهم العميق بتعاليم دينهم وطاعة ربهم[65].

---

[64] السابق، ج1، ص 75.

[65] المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية على الجزء الأول من سورة البقرة؛ رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية، ص



.45

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية من سورة يوسف:

- النموذج الأول:

قال تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: 1، 2].

أولاً: التفسير الإجمالي للآيتين:

يقول الشيخ السعدي: "يُخبر تعالى أن آيات القرآن هي: {آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}؛ أي: البيِّن الواضحة ألفاظه ومعانيه، ومن بيانه وإيضاحه أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، وكل هذا الإيضاح والتبيين {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}؛ أي: لتَعقِلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه، فإذا عقَلتم ذلك بإيقانكم واتَّصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح والانقياد إليه، و{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}؛ أي: تزداد عقولكم بتكرُّر المعاني الشريفة العالية على أذهانكم، فتنتقلون من حالٍ إلى أحوال أعلى منها وأكمل"[66].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}: لعل حرف مُشبه بالفعل من أخوات إن، و(كم) الكاف ضمير مبني على الضم في محل نصب اسم لعل، و(الميم) علامة جمع الذكور، (تعقلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة تعقلون في محل رفع خبر لعل.

ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

الفاصلة في هذه الآية - بتمام اتصالها بما قبلها من السياق اتصالاً مُحكمًا - تُظهر المعنى بكل وضوح، فهي تعليلية لما سبَقها؛ إذ إنه أنزل سبحانه وتعالى القرآن الكريم باللغة العربية؛ حتى يَعقِل الناس معانيه، ويتدبَّروا آياته وأحكامه، ويتوصَّلوا بذلك إلى تمام الإيمان به وتوحيده على الوجه الذي طلَبه، ويَبرُز جمالُ الفاصلة في استخدامها الفعلَ المضارع الذي يفيد الحدوث والتجدد والاستمرار؛ ذلك لأن القرآن يحتاج استمراريةً في التعقل والفَهم، والعمل بما جاء[67].

---

[66] تفسير السعدي، ج 1، ص 393.

[67] المناسبة بين الفواصل: دراسة تطبيقية على سورة يوسف والرعد وإبراهيم، رسالة ماجستير للباحث نمر جبر سدر، ص 37.



- النموذج الثاني:

قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: 3].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: نحن نقص عليك أيها الرسول المصطفى أحسنَ القصص؛ أي: نُحدثك أحسن الاقتصاص والتحديث - بيانًا وأسلوبًا وإحاطة - أو أحسن ما يقص ويتحدث عنه موضوعًا وفائدة، ويجوز الجمع بين المعنيين، فالقصص مصدر أو اسم من قص الخبر إذا حدَّث به على أصح الوجوه وأصدقها؛ لأنه من قص الأثر واقتَصَّه إذا تتبَّعه وأحاط به خبرًا، كأنه قال: نقصُّه عن اقتصاص وإحاطة، ويجوز أن يكون بمعنى اسم المفعول، فيكون القصص بمعنى المقصوص من الأخبار والأحاديث.

(بما أوحينا إليك هذا القرآن)؛ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة من القرآن؛ إذ هو الغاية العليا في حسن فصاحته وبلاغته وتأثيره، وحسن موضوعه.

(وإن كنت من قبله لمن الغافلين)؛ أي: وإن الشأن وحقيقة ما يتحدث عنه من قصتك أنت، أنك كنت من قبل إيحائنا من جماعة الغافلين عنه من قومك الأُميين الذين لا يخطر في بالهم التحديث بأخبار الأنبياء وأقوامهم[68].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

{وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}: (الواو) واو الحال، (إن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، (كنت) فعل ماض ناقص ناسخ، و(التاء) اسم كان، (من قبل) جار ومجرور متعلق بالغافلين، و(الهاء) ضمير مضاف إليه، (اللام) هي الفارقة لا عمل لها، (من الغافلين) جار ومجرور متعلق بخبر كنت وعلامة الجر الياء، وجملة: (إن كنت ...) في محل نصب حال، وجملة: (كنت من الغافلين) في محل رفع خبر (إن) المخففة، والجار والمجرور (من قبل) متعلق بمحذوف حال من اسم كان، والتقدير: إن كنت حالة كونك من قبله لمن الغافلين.

[68] تفسير المنار؛ للشيخ محمد رشيد رضا، ج12، ص 208.



ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

الفاصلة في (لمن الغافلين) تُناسب سياق الآية؛ ذلك أن الله عز وجل امتنَّ على نبيه أن أعْلَمَه قصص الأمم والأنبياء السابقين، وما حدث بينهم وبين أقوامهم، وأن هذه القصص تُعد أحسن القصص؛ ففيها تسليةٌ وتثبيتٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن المعلوم أن النبي قبل أن يُعلمه الله أخبار هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم وقصصهم - عن طريق الوحي - كان غافلاً عن هذه القصص ولا يَعلمها، فبذلك ناسَبت فاصلةُ الآية (الغافلين) سياقَ الآية ومعناها وموضوعها.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من سورة الرعد:

- النموذج الأول:

قال تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: 7].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

يقول الشيخ الجزائري: "يُخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قول الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: {لولا}؛ أي: هلاَّ أنزِل على محمد - صلى الله عليه وسلم - آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح؛ حتى نؤمن بنبوَّته ونُصدِّق رسالته، فيرد تعالى عليهم بقوله: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ}، والمنذر المخوِّف من العذاب، وليس لازمًا أن تنزل معه الآيات، وعليه فلا تَلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات، واستمِرَّ على دعوتك؛ فإن لكل قوم هاديًا وأنت هادٍ هذه الأمة، وداعيها إلى ربها، فادعُ واصْبِر"[69].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}: (إنما) كافة ومكفوفة، (أنت) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ، (منذر) خبر مرفوع، (الواو) عاطفة، (لكل) جار ومجرور متعلق بخبر مقدم، (قوم) مضاف إليه مجرور، (هاد) مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء المحذوفة، فهو اسم منقوص، و(هاد) في أصلها نعت لمنعوت محذوف؛ أي: لكل قوم نبي هاد، فلما حُذِف المنعوت أقيم النعت مقامه، وأخَذ

---

[69] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير؛ للجزائري، ج3، ص 11.



إعرابه، وقال العكبري: "قوله تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}: فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها أنه جملة مستأنفة؛ أي: ولكل قوم نبي هاد، والثاني: أن المبتدأ محذوف تقديره وهو لكل قوم هاد، والثالث: تقديره: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم، وهذا فصل بين حرف العطف والمعطوف"[70].

ومن الجدير بالذكر أن جملة (إنما أنت منذر) جملة اسمية أكَّدت أن النبي وظيفته محصورة في إنذار قومه فحسب، أما الهداية والإيمان، فالله يَهَبُهما مَن يشاء من عباده.

ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

يقول البقاعي: "ولَمَّا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم راغبًا في إجابة مقترحاتهم لشدة التفاته إلى إيمانهم، كان كأنه سأل في ذلك لتَحصُل لهم النجاةُ، فأُجيب بقوله تعالى: - مقدِّمًا ما السياق أولَى به؛ لأنه لبيان أن الأكثر لا يُؤمن - {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ}؛ أي: نبي منذر هادٍ لهم، تهديهم ببيان ما أنزله عليك مما يُوقع في الهلاك، أو يُوصِّل إلى النجاة، لا أنك مُثبت للإيمان في الصدور، ولكل قوم داعٍ يُبين لهم ما أرسلنا به من النذارة والبشارة"[71].

- النموذج الثاني:

قال تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: 11].

أولًا: التفسير الإجمالي للآية:

ذكر الشيخ محمد محمود الحجازي تفسيرًا ميسرًا لهذه الآية، مفاده أن لكل إنسان منا حَفَظَةً يحفظونه من بأس الله وعذابه، فإذا أُعلِم أنه ما يَلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، راقَبَ ربَّه وخَشِي حسابَه، فاستقام أمره، وإذا كان الله قد جعل للإنسان حَفَظَة يحفظونه بأمر الله، فكيف يُصاب بسوء؟ نعم يصاب إذا قُدِّر له ذلك، فهم يَحفظونه من أمر الله؛ بمعنى: أن ذلك مما أمرهم به؛ لأنهم لا يَقدِرون أن

[70] إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات؛ للعكبري، ج 2، ص 61.

[71] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج10، ص 286.

يَدفعوا أمر الله، وإن الله لا يُغيِّر ما بقوم من نعمة وعافية وعز واستقلال، حتى يُغيروا ما بأنفسهم من الخير والأعمال الصالحة التي تُرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتُثبت دعائم الدولة، ولقد أثبت التاريخ الإسلامي صدق هذه النظرية القرآنية، فالله لم يُغير ما كان عند الأمة الإسلامية - من عز ورفاهية، وعلم واقتصاد - حتى غيَّروا ما بأنفسهم من الخير والأعمال الصالحة التي تُرضي الله ورسوله، وتُثبت ما بأنفسهم؛ حيث حكَموا بغير القرآن، وتركوا دينهم، وقلَّدوا غيرهم، وشاعت بينهم المُوبقات، وانحلَّت أخلاقهم، ونأمُل الآن أن يُحوِّل الله ضَعفنا إلى قوة، وذُلَّنا إلى عزة، وفقرنا إلى غِنى، واحتلالِنا إلى استقلال، وإذا أراد الله بقوم سوءًا - من احتلال أو ذلٍّ، أو مرض أو فقر، أو نحو ذلك من أسباب البلاء التي تكون بسبب أعمالهم وما كسبته أيديهم - فلا رادَّ له ولا مُعقِّب لحُكمه، وفي هذا إيماء إلى أنه ينبغي ألا يَستعجلوا السيئةَ قبل الحسنة؛ فإن ذلك كله مرجعه إلى عالم خبير لا يُرَدُّ له قضاءٌ، وما لهم من دونه من وال وناصر[72].

ثانيًا: التحليل النحوي للفاصلة:

{وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}: (الواو) عاطفة، (ما) حرف نافٍ، (لهم) جار ومجرور متعلِّق بخبر مقدَّم، (من دونه) جار ومجرور متعلق بحال من وال، والتقدير: ما لهم من وال حالة كونه من دونه، و(من) حرف جر زائد، (وال) مجرور لفظًا مرفوع محلاًّ مبتدأ مؤخر، وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة، فهو اسم منقوص، وجملة: (ما لهم من دونه من وال): لا محل لها معطوفة على جملة جواب الشرط: (فَلَا مَرَدَّ لَه)، وقد ذكر (الدعاس) أن الواو مستأنفة، وعلى ذلك تكون جملة (ما لهم من دونه من وال) غير معطوفة، وفي كلا الحالين لا محل لها من الإعراب.

ثالثًا: مناسبة الفاصلة:

يقول الطاهر بن عاشور: "هذا تصريح بمفهوم الغاية المستفاد من (حتى يُغيروا ما بأنفسهم)، تأكيدًا للتحذير؛ لأن المقام لكونه مقام خوفٍ ووجلٍ، يقتضي التصريح دون

[72] التفسير الواضح؛ للشيخ محمد محمود حجازي، ج2، ص 220، بتصرف يسير.



التعريض، ولا ما يَقرُب منه؛ أي: إذا أراد الله أن يُغير ما بقـوم حين يُغيرون ما بأنفسهم، لا يـردُّ إرادتـه شـيءٌ، وذلـك تحـذير من الغرور أن يقولوا: سنَسترسل على ما نحن فيه، فإذا رأينا العذاب آمَنَّا، وجملة: (ومـا لهم من دونـه من وال) زيـادة في التحذير من الغرور؛ لئلا يَحسَبوا أن أصـنامهم شـفعاؤهم عنـد الله"[73].

[73] تفسير التحرير والتنوير؛ للطاهر بن عاشور، ج13، ص 102.

المبحث الرابع: المناسبة بين مجموعة سور

مدخل:

تقول الباحثة إقبال نجم: "على الرغم من الاختلاف في أمر ترتيب السور في المصحف الشريف بوضعها الحالي، فإن هناك ما يوحي بوجود تناسب وترابط بينها، يظهر أحيانًا وجه التناسب ويَخفى، ويدق أحيانًا أخرى، فيصعب إدراكه.... وليس شرطًا أن ترتبط السورة بسابقتها أو لاحقتها ارتباطًا لفظيًّا بين آياتها، أو بين خاتمة السورة السابقة وافتتاحية اللاحقة لها، ومِن ثَم فإن هناك خيوطًا دقيقة تربط بينهما"[74].

المطلب الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

يقول الدكتور مشهور موسى: "من المعلوم أن أوائل السور هو ملخص لها، ودليل لمقصدها، ثم إن ختام السورة التي قبلها دائمًا تكون داعمة وكاشفة لقصد التي تليها؛ إذ إن القرآن حلقة متصلة الأجزاء، كل جزء يدفع باتجاه الذي يليه"[75].

النموذج الأول: التناسب بين أوائل سورة الأعراف وخواتيم سورة الأنعام:

ختَم الله تعالى سورة الأنعام باتباع كتابه والتزامه إلى أن قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 165].

ثم قال في بداية سورة الأعراف: {المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: 1، 2].

يقول البقاعي: "أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب، وما تَقدَّمه، فقال مخبرًا عن مبتدأ تقديره: هو {كتاب}؛ أي: عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لَبسًا، ولم يَذَر خيرًا إلا أمر به، ولا

---

[74] التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير للباحثة إقبال نجم، ص 150.

[75] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 107.



شرًّا إلا نهى عنه، فإنزاله من عظيم رحمته، ثم وصفه بما أكَّد ما أشار إليه من رحمته بقوله: {أَنْزِلَ إِلَيْكَ}؛ أي: وأنت أكرم الناس نفسًا وأوسعهم صدرًا، وأجملهم قلبًا وأعرقهم أصالة، وأعرفهم باستعطاف المباعد، واستجلاب المنافر المباغض، وهذا شيء قد خصَّك به، فرفعك على جميع الخلق درجات لا تُحصى ومُراتب لا حدَّ لها"[76].

يقول الدكتور مشهور موسى: "إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده، وما يترتب عليه من عقاب أو ثواب، لا يكون إلا بعد أن تُوضَّح التكاليف الشرعية، ويُبرهن عليها ويُدلل، ولَمَّا كان ذلك في السورة نفسها: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام: 155]، أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله، ولذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدَّم عن كتابه ووجوب التزامه؛ قال تعالى مدللاً على ما تقدَّم: {المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 1 - 3]"[77].

النموذج الثاني: التناسب بين أوائل سورة الرحمن وأواخر سورة القمر:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: 54، 55].

وقال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن: 1 - 7].

ختم الله سورة القمر بذكر مُلكه العظيم وبليغ قدرته، ومِن ثَمَّ فإن الملك القادر المقتدر لا يكمل مُلكه إلا بذكر الرحمة، ولا بد من عموم هذه الرحمة، فلذلك أتى بعده بسورة الرحمن التي عدَّد فيها الرحمة، وفرَّع ونوَّع النِّعم والآلاء على الخلق جميعًا، وهذا التعدد في النعم لا يكون إلا من ملك قادر رحيم، وقد جاء ذكر النعم وما يَلقاه المتقون في جنات النعيم

[76] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج7، ص 348.
[77] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص 110.

مُجملاً في سورة القمر، ومِن ثَمَّ فقد اقتضى هذا الإجمال تفصيلاً واستقصاءً، وهو ما جاء في سورة الرحمن التي فصَّل الله فيها نِعمَه وآلاءَه على عباده؛ يقول تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن: 1 - 7].

يقول البقاعي: "وفصَّل فيها ما أجمَل في آخر القمر من مَقرِّ الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدَّرها بالاسم الدال على عموم الرحمة؛ براعةً للاستهلال، وموازنةً لما حصل بالمُلك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة"[78].

المطلب الثاني: مناسبة مضمون السورة بما قبلها:

النموذج الأول: مناسبة مضمون سورة الحج لمضمون سورة الأنبياء التي قبلها في ترتيب المصحف:

وتأتي مناسبة مضمون سورة الحج لمضمون سورة الأنبياء من عدة أمور؛ منها:

1- أنه في سورة الأنبياء قد أُقيمت الحجج الطبيعية على الوحدانية، وفي الحج قد جعل الله العلم الطبيعي من براهين ودلائل البعث والنشور، وفي هذا ما فيه من التسلسل التأكيدي والامتداد الذي يجعل المعنى متصلاً.

2- "في سورة الأنبياء ورد ذكر قصص بعض الأنبياء، والبراهين التي ساقوها من أجل أن يؤمن قومُهم، وفي سورة الحج خطاب يسترعي السمع ويوجب علينا ولو إجمالاً أن نعرفَ صُنع الله في أرضه وسمائه، وتدبيره وخلق الأجِنَّة والنبات والحيوان"[79].

ففي الأنبياء ذكْر البراهين على لسان أنبيائه، وفي الحج زاد هذه البراهين وفصَّلها، وذكر نوْعَها، وهذا يدل على تناسُب مضمون السورتين.

3- كذلك فإنه تعالى في سورة الأنبياء لَما ذكر حال الأنبياء مع أقوامهم، وما وجدوه من العَنَت والإعراض منهم - "ذكر

[78] نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 19، ص 140.
[79] في رحاب التفسير؛ للشيخ عبد الحميد كشك، ج 17، ص 2522.

في سورة الحج حال الأشقياء والسعداء، وذكر الفزع الأكبر، وهول ما يكون يوم القيامة، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد، وكذَّبوه بسبب تأخُّر العذاب عنهم، فنزلت هذه السورة تحذيرًا لهم وتخويفًا، لِما انطوَت عليه من ذِكر زلزلة الساعة وشِدة هَوْلِها، وذِكر ما أُعِدَّ لمنكرها، وتَنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم، وبهمود الأرض واهتزازها بعدُ بالنبات"[80].

فكأن الله في سورة الحج يُبكِّت ويُوبِّخ المشركين بتذكيرهم بنِعمَه وفضله عليهم، ردًّا على إنكارهم الوحدانية وشركهم، وإعراضهم عن اتباع طريق الهدى الذي دعا إليه الأنبياء جميعًا في سورة الأنبياء.

النموذج الثاني: مناسبة مضمون سورة النور لمضمون سورة المؤمنون التي قبلها في ترتيب المصحف:

وُجِد تناسب بين سورة النور وسورة المؤمنين التي قبلها، وقد تَمثَّل هذا التناسب فيما يلي:

1- يقول الشيخ سعيد حوى: "تتحدث سورة النور عن أحكام تُطالَب بها الأمة الإسلامية، وتتحدث عن أحكام لها صلة بالنظام الاجتماعي للأمة الإسلامية، ولذلك نجد سورة المؤمنون تتحدث عن الوحدة الإسلامية خلال العصور؛ قال تعالى: {وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: 52]، فالسورة تتحدث عن موضوع وحدة الأمة الإسلامية، وتُنكر موضوع تقطيع أمر الأنبياء والأخذ ببعضه وترك بعضه؛ مُقدمةً لسورة النور"[81].

2- أنه سبحانه لَمَّا قال في سورة المؤمنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: 5]، ذكَر في سورة النور أحكامًا كثيرة تدعو إلى حفظ الفروج، وتؤدي إلى سلامة المجتمع من الزنا ومظاهره؛ حيث تبدأ السورة بالحديث عن حد الزنا وحد القذف، وتضع عقوبات رادعة صارمة للمستهترين بحِفظ فروجهم، والمتطاولين على الأعراض،

[80] البحر المحيط؛ لأبي حيان الأندلسي، ج6، ص 324.
[81] الأساس في التفسير؛ للشيخ سعيد حوى، ج1، 3613، دار السلام، 1405هـ - 1985م.



والمنتهكين لطهـارة المجتمـع وعِفتـه، وتحـدَّثت السـورة بعـد ذلـك عن آداب الاسـتئذان، وأحكـام غض البصـر، وحثَّت على الـزواج لمَن ملَـك الاسـتطاعة والقـدرة على أعبائـه، وتُوجِّه خطابًا للأوليـاء بـتزويج الأيـامى من أبنـائهم وبنـاتهم، ثم تُوجِّه خطابًا آخـر للأسـياد لـتزويج الصـالحين من عبيـدهم وإمـائهم، وكل هذه الأحكام تدعو إلى حفظ الفروج - إما بصورة نظرية أو عمليـة - وتلتقي مـع سـورة المؤمنـون في هـذا الهـدف السامي النبيل[82].

[82] المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسـورتي النـور وفـاطر، رسـالة ماجسـتير للباحثـة آمنـة جمـال إسـماعيل كحيـل، ص 18، بتصرف يسير.

خاتمة ونتائج

تحـدثت في هـذا البحث عن المناسـبة في موضـوع القـرآن وذكـرت تعريفـا لغويـا واصـطلاحيا وافيـا للمناسـبة، وذكـرت تعريفات البلاغـيين لهـا ودلالـة المصـطلح عنـدهم، ثم ذكـرت قول المعارضين للقول بالمناسـبة في القـرآن والـرد عليهم ، وأهميـة علم المناسـبة وأنواعـه في تفصـيل غـير ممـل، ثم انتقلت إلى الجـــانب التطـــبيقي من البحث، فتحـــدثت عن المناسبة بين آيات السـورة الواحـدة، وطبقت ذلـك من خلال نماذج من آيـات سـور القـرآن، ثم تحـدثت عن المناسـبة بين فواصل الآيات، وذكرت أمثلة لذلك من فواصل آيـات السـور، وتحدثت عن المناسبة بين السـورة ومـا قبلهـا وذكـرت أمثلـة لذلك، ومن خلال ما سبق خرجت ومعي مجموعة من النتـائج كان من أهمها:

1- أن هنـاك مؤلفـات كثـيرة دارت حـول موضـوع المناسـبة، ومنهـا مـا جـاءت المناسـبة بابًـا من أبوابهـا، ومنهـا مـا أُلِّف خصيصًا لها، ومنهـا رسـائل عليمـة طبَّقت موضـوع المناسـبة على بعض سور القرآن.

2- أن خلاصـة المعـنى اللغـوي للمناسـبة - كمـا جـاء في المعاجم - يدل على الاتصال والنسب والعلاقة والربط.

3- أن خلاصة المعنى الاصـطلاحي هـو معرفـة علـل الـترتيب بين آيـات وسـور القـرآن، والارتبـاط بين أجـزاء هـذه السـور والآيات، حتى تكون السورة والآية كالكملـة الواحـدة مُتسـقة المعاني والمباني.

4- أن هنـــاك دلالـــة اصـــطلاحية لمصـــطلح المناســـبة عنـــد البلاغـيين، فهي عنـدهم مطابقـة الألفـاظ لأغـراض المعـاني، ولقد جاء تعريف التنويري للمناسبة أكثر نضوجًا مِن سابقيه.

5- أن هناك علماء كُثُر قالوا بالمناسبة، وألَّفـوا فيهـا أكـثر من كتاب؛ مثل: البقاعي، والسيوطي.

6- أن هناك مَن اعترض على القـول بالمناسـبة في القـرآن، ومنهم: الإمام العز بن عبد السلام والإمام الشوكاني، وقد رُدَّ عليهم ودُفِعَ اعتراضـهم بـأقوال العلمـاء الآخـرين، وهنـاك مِن المحدثين مَن

دافع عن الشوكاني، وقرَّر أنه لم يَعترض على المناسبة، وإنما اعترض على المتكلَّف منها، وهذا ليس فيه عيبًا.

7- أن هناك أهمية بالغة لعلم المناسبة؛ فهي تساعد في فَهْم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ، أو التأويلات المغالى فيها، وتكون مفتاحَ معرفةِ حِكَم القرآن ودُرره ... إلخ.

8- أن هناك علاقة وروابط قوية بين الآية وجارتها، وبين صدر الآية وخاتمة ما قبله.

9- أن فواصل الآيات تقوم بدور كبير في تحقيق المناسبة والربط بين الآيات.

10- أن هناك مناسبة وربط بين آخر آيات السورة وأوائل آيات السورة التي بعدها، وهذا يجعل من سور القرآن سلسلة مترابطة ممتدة الحلقات.

فهرس المراجع

وقد رتَّبتُها ترتيبًا ألفبائيًّا:

1- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

2- التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير للباحثة إقبال نجم، جامعة الكوفة العراق، 2009م.

3- مقاييس اللغة؛ لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين؛ تحقيق الشيخ عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

4- نهاية الأرب في فنون الأدب؛ لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

5- التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية؛ رسالة ماجستير للدكتور أحمد يحيى محمد.

6- موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر للدكتور أحمد محمد الشرقاوي سالم، 1425ه.



7- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية على الجزء الأول من سورة البقرة؛ رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية، الجامعة الإسلامية غزة - فلسطين، 2010هـ.
8- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورتي النور وفاطر، رسالة ماجستير للباحثة آمنة جمال إسماعيل كحيل، الجامعة الإسلامية غزة - فلسطين، 2009م.
9- الفصل والوصل؛ للدكتور بسيوني عرفة، مكتبة الرسالة، القاهرة.
10- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير؛ لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424ه - 2003م.
11- المفردات في غريب القرآن؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1 ، 1412 هـ.
12- في ظلال القرآن؛ للشيخ سيد قطب.
13- الأساس في التفسير؛ للشيخ سعيد حوى، الناشر: دار السلام، 1405هـ - 1985م.
14- القصص القرآني؛ للدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.
15- التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير للدكتور طارق مصطفى محمد، جامعة القدس،1428ه - 2007م.
16- الوحدة البنائية للقرآن المجيد؛ للدكتور طه جابر العلواني.
17- الحيوان؛ لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1424 ه.
18- دلائل الإعجاز؛ لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط 3، 1413هـ - 1992م.



19- التفسير الكبير؛ لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ.
20 - إملاء ما من به الرحمن؛ للعكبري، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين،
21- الإشارة إلى الإيجاز وبعض أنواع المجاز؛ لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء،
22- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران؛ لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان،
ط1، 1408 هـ - 1988 م.
23- الإتقان في علوم القرآن؛ لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1394ه - 1974 م.
24- دلائل النظام؛ للشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي.
25- ودلالة السياق؛ للدكتور عبد الوهاب أبو صفية.
26- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م.
27- في رحاب التفسير؛ للشيخ عبد الحميد كشك.
28- جامع البيان في تأويل القرآن؛ لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
29- إعجاز القرآن للباقلاني؛ لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف - مصر، ط 5، 1997م.

30- البحر المحيط؛ لأبي حيان الأندلسي؛ لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة عام 1420 هـ.
31- لسان العرب؛ لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، ط 3، 1414 هـ.
32- البرهان في علوم القرآن؛ لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).
33- تاج العروس من جواهر القاموس؛ لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
34- فتح القدير؛ لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 ه.
35- تفسير المنار؛ للشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر 1990 م.
36- التحرير والتنوير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)؛ لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر 1984 هـ.
37- علم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول.
38- إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني.
39- الفاصلة في القرآن الكريم؛ للدكتور محمد الحسناوي.
40- التفسير الواضح؛ للشيخ محمد محمود حجازي.

41- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.

42- التناسب القرآني عند البقاعي؛ رسالة ماجستير للدكتور مشهور موسى، الجامعة الأردنية، 2001م.

43- المناسبة بين الفواصل: دراسة تطبيقية على سورة يوسف والرعد وإبراهيم، رسالة ماجستير للباحث نمر جبر سدر، الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، 2011م.

44- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج؛ للدكتور وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، ط 2، 1418 هـ.

المحتويات


شبكة
الألوكة
www.alukah.net